الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–

كلية الأدب و الفنون

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

تخصص: لسانيات عربية

عنـــوان المـــذكرة

البلاغة بين التجديد و المعاصرة

– محمد العمري أنموذجا –

إعداد الطالبة:

عباد مخطارية

إشراف الأستاذ:

د. قوفي

السنة الجامعية :2017–2018

الإهداء

- إلى التي أجهدتها و أتعبتها و أسهرتها و أرهقتها و من وزنها أنقصت الكثير ...إلى نفسي
- إلى التي أدبتني و ربتني و علمتني و في الحياة أوجدتني ...إلى أمي
- إلى الذي قتل صحته فيه كي يحي فينا الحياة هذا ما أنجبت ابنتك خلاصة ما أحييت فيها ...إلى أبي
- إلى الذين قاسموني شقاوة الحياة و مرارة العيش و رفعوا معي كؤوس القناعة ...إلى إخوتي
- إلى الذي انتشل أفكاري و أعمالي من عالم الإهمال إلى عالم التقدير و الإحترام ...إلى مؤطري الأستاذ قوفي
- إلى التي سكنت القلب و الروح فيا روح الروح أقول أنك لن تجدي واحدة تهواكي مثلي ...إلى الجزائر
- إلى الذين يرجحون الكفة ذات اليمين و ذات الشمال إلى أبناء وطني رجالا و نساء و شيوخا و أطفالا

إليكم جميعا أقدم بفخر هذا العمل

الشكر

من باب "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"بودي أن أشكر أشخاصا كان لهم الفضل في مساعدتي ودفعي إلى الأمام ولم يبخلوا علي لا بالمساعدات المادية ولا المعنوية أبدأها بـــــــ:

- مؤطري الأستاذ قوفي
- الأستاذ دحماني
- الأستاذة فريحي
- الأستاذة عباد فاطمة الزهرة
- الأستاذة بالواد حياة
- الأستاذة عباد خيرة
- الأستاذة عباد جميلة
- الأستاذة غانم مليكة

- أفلا أكون عبدا شكورا -

مقدمة

يقر حازم القرطاجني أن مجال البلاغة واسع، إذ كيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب، فهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاذ الأعمار.

لم تكن دراسة البلاغة حديثة و لا من مستجدات العصر، إنما هي موغلة منذ القدم إذ ترجع إلى عصر اليونان و ما جاء من مؤلفات أرسطو و أفلاطون، و ظهورها في الدراسات المعاصرة عند شايم برلمان وديكرو في أبحاثهما المسماة البلاغة الجديدة، ولعل السبب يعود إلى رغبة الباحثين والنقاد وكذا المحللين في الوصول إلى علم يساعدهم على إلتماس الأبعاد الحقيقية لما ينتجه الإنسان من خطابات بلاغية راقية مهما تنوعت وتفرعت.

من هنا جاءت فكرة البحث في مجال البلاغة الجديدة والمعاصرة كميدان بكر في الدراسات العربية الحديثة، التي تهدف بدورها إلى تقديم دراسة حول البلاغة بما تتضمنه من مقاصد لأجل الوقوف على أهدافها الأدبية و الفنية .

و يعد محمد العمري من البلاغيين العرب الذين استطاعوا وضع البلاغة العربية في مكانها الطبيعي، و لعل اهتمامه بالبلاغة المعاصرة كان نتيجة وحوصلة للدراسات المبكرة حول مصطلح التجديد في البلاغة، نظرا لتشعبه الكبير بالتراث العربي والمناهج الغربية ، وهذا ما نستشفه من خلال الترجمات التي قام بها .

إضافة إلى مشروعه البلاغي الذي استند على بلاغة عربية جديدة عن طريق دعامتين أولهما تتمثل في الإجتهادات العربية التراثية المتميزة، وثانيهما تكمن في البلاغة الغربية وما تقوم عليه من موروث قديم بالاضافة الى اتجاهات أسلوبية حجاجية ونصية حديثة .

من هنا جاء موضوع بحثي هذا تحت عنوان: البلاغة بين التجديد والمعاصرة – محمد العمري أنموذجا-

يطرح هذا العمل المتواضع جملة من الأسئلة المنهجية و المعرفية تتمحور حول إمكانية ظهور بلاغة حديثة تجمع بين معطيات البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة، و فيما تكمن جهود العمري في تحديث البلاغة العربية؟

هذه الإشكالية شكلت مدار البحث وخطته، فكانت بدايتها بمقدمة ثم تلتها ثلاثة فصول ثم خاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها في هذا الموضوع، أما المقدمة فكانت تبيان مدى شساعة و تطور مصطلح البلاغة من خلال الدراسات الحديثة للدرس اللغوي العربي و الغربي.

تلا المقدمة فصل أول يضم إتجاهات التجديد البلاغية و دواعيها و البدايات الأولى للبلاغة العربية، إلى غاية ظهور البلاغة الجديدة فالمعاصرة أما الفصل الثاني فيدور حول البلاغة المعاصرة واهتماماتها، أما الفصل الثالث فكان فصلا تطبيقيا حاولت فيه دراسة إسهامات محمد

العمري في مجال البلاغة الجديدة والمعاصرة، مبينة الجهود العلمية التي بذلها للنهوض بالبلاغة في المغرب والعالم العربي، منوهة في نفس الوقت بإنجازاته التي تثير الكثير من الأسئلة لدى المهتمين بالدرس البلاغي، معتمدة في ذلك على كتابيه:

- البلاغة العربية أصولها و امتداداتها.

- البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول .

أخيرا خاتمة تضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج، إلى جانب محاولة إخراج الدرس العربي القديم من البوتقة التي رمي فيها و قرائته قراءة جديدة معاصرة، أما المنهج المتبع في البحث فقد عرف تباينا في ذلك حسب مضوع البحث الذي يقتضي هذا التنوع و الذي يرجع أساسا الى المزج المعرفي بين ما هو قديم وما هو حديث إلا أن المنهج الوصفي التحليلي هو الغالب في البحث وذلك لطبيعة الموضوع .

و يرجع إختياري لهذا الموضوع لأسباب منها الدراسات العربية في هذا المجال، ظهور كتب متضمنة مفاهيم جديدة معنونة بالقديم، اعتناء بعض البلاغيين بدراسة البلاغة من الناحية الشكلية البحتة والتغاضي عن جوهرها .

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتني فتكمن في محدودية الوقت، إذ أن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى التعمق كبير نظرا لأهميته و قلة الدراسات المتناولة فيه.

تعتبر البلاغة من الفنون الأدبية اللغوية التي تعنى بدراسة الوسائل التي تساعد على فهم النصوص النثرية والأدبية فمتفحصها يلاحظ أنها انتقلت في مراحل أربع هي : النشأة، النمو، الازدهار، ثم الذبول، والباحث حينما يلتمس البذور الأولى للبلاغة العربية يجد أن جذورها متأصلة منذ العصر الجاهلي، حيث كان يميز الرفيع من فصاحة البيان في شعرهم إلى غاية ظهور الإسلام، و من نزول القرآن الكريم أصبح هذا الوحي الرباني حجة قاطعة لهم .

و يمكن الجزم أن دراسة الإعجاز البياني كان الهدف الجليل والأسمى الذي وضع علم البلاغة لأجله، ثم أخذت الدراسات تتسع في العصر العباسي بحكم تعمقها الحضاري و ظهور البديع والبيان وهذا ما أكد نمو مباحث البلاغة نموا سريعا مع مجموعة من النقاد الذين أثارتهم البلاغة أمثال : ابن سلام الجمحي، وقدامه بن جعفر بالإضافة إلى أبو هلال العسكري هذه الدراسات أزهرت و أينعت على يد عبد القاهر الجرجاني، إلى جانب السكاكي و القزويني الذين لهم أعمال خالدة في تاريخ البلاغة، بعدها مباشرة ستقابلنا عصور كثرت فيها ما يسمى بالملخصات والشروح وكذا التعقيد والجمود .

و من مباحث البلاغة العربية إلى مباحث البلاغة الغربية التي أدت إلى تطور البحوث البلاغية بحيث عنت الدراسات الغربية بدراسة الأساليب والفنون الأدبية بالطريقة التي تسمح بإثراء الخطابين البلاغي والنقدي المعاصرين .

هذه البلاغة الجديدة التي كانت قبلة للكثير من الباحثين سواء العرب وغير العرب والتي بدأت مسيرتها عند الغرب على يد برلمان و نظريته المتعلقة بالحجاج، دون أن نغفل على دور تولمين ، وديكرو في إرساء معالم البلاغة من هنا سنكشف العلاقات بين التراث العربي والنظريات الحديثة التي ساهمت في ظهور بلاغة جديدة .

1– مصطلح البلاغة :

لغة :

تعتبر البلاغة أحد علوم اللغة العربية، التي نالت الحظ الوافر من البحث والدراسة ، وهي اسم مشتق من الفعل بلغ بمعنى وصل إلى النهاية كما ورد في لسان العرب رجل بليغ و بلغ حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه ما في قلبه[1] .

اصطلاحا :

اجتهد علماء البلاغة منذ القديم لوضع تعريف لهذا العلم، فهي عند القزويني : " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2]

أما عند أبو هلال العسكري : " البلاغة كل ما تبلغ منه المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة و معرض حسن[3]"

أما البلاغة في المنظور الأرسطي فهو يقع بين معنيين متعارضين أولهما يدل على الخطاب الذي يستهدف الإقناع ، وتغير المقامات اعتمادا على الملكية الخطابية، وثانيهما يحمل الخطاب الذي يتنصل على مهمة الإقناع كي يصبح هو ذاته غاية وهدف بمعنى الكل يصبح خطابا جماليا.

فالبلاغة إذا نوعين: نوع يحاول الإقناع و أخر يحاول أن يكون هدفا وغاية.

و هنا نجد قول آخر لابن رشيد القزويني في معناه أنه لا يصح أن نخاطبهم بما لا تستطيع عقولهم إدراكه.

إذن فالعرب لهم جهودهم في محاولة تبيان أو وضع مفاهيم و مبادئ لهذا العلم، على سبيل المثال الجرجاني الذي سار على نهجه المؤلفون من بعده و أتموا البيان الذي أرسى معالمه.

---

[1] –ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 1، مادة بلغ ، ج1، ص 346

[2] –ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص151

[3] – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار العلم للكتب، القاهرة، ط2، 2000، ص245

2- بلاغة التراث العربي :

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، فقد كانوا يعجبون ببلاغة القول في سور بيانية، إلى جانب فصاحة منطقهم، وكانت القصيدة كثيرا ما تمكث حولا كاملا عند صاحبها، يغترفون من بيع معانيها الثرية أجمل القصائد بالرغم من أنهم أميون وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن بلاغتنا العربية تزخر بالتشبيهات والاستعارات التي كانت بقوة الإحساس والتفنن في المواقف البليغة ، إلى جانب الشعر وجدت الخطابة التي أبدع العرب في ضرب الأمثال والحكم في مختلف المواقف والأحداث.[1]

و مع مرور الوقت أخذت العناية بالبلاغة تنمو مع ظهور الإسلام بفضل القران الكريم، وعلى حد قول الجاحظ فيما معناه أن الناس لم تستطع الإتيان بكلام من مثله لا نفعا ولا فصاحة .

وإذا ما تطرقنا إلى عصر بني أمية و جدنا الخطابة في الصدارة فقد كانوا يحسنون الكلام حتى يبلغوا منه المهارة البيانية حتى اشتهرت عندهم، بحيث كانت لهم أسواق يجتمع فيها شعرائهم ليتناقشوا فيها و ليبدي بعضهم بعضا أراء حول أشعار بعضهم، يتمادحون فيها بألفاظ دالة على كل الدلالة على تشبعهم بفن البلاغة، من هذه الأسواق : سوق المربد في البصرة، والكناسة في الكوفة، وسوق عكاظ .

من هنا ظهرت طائفتين الأولى طائفة النحاة و اللغويين و أخرى كانت مختصين بمسائل البيان و البلاغة والمسماة بالمعتزلة،هذه الأخيرة احتكت مع الأمم الأجنبية، فيما يتعلق بموضوع البلاغة و ها هنا الجاحظ في هذا المقام يقدم لنا مجموعة من تعاريف تلك الأمم، فيقول : إنه قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ فقال: "معرفة الفصل من الوصل " وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ " تصحيح الأقسام و اختيار الكلام "،وللتنويه فإن هدف المعتزلة لم يكن الإطلاع على أعمال تلك الأمم، بالعكس تماما فقد سلكت منحى الموازنة بينهم و بين أراء وتطلعات العرب في مجال البلاغة .[2]

و منذ مطلع النصف الثاني من القرن الهجري الأول يلحظ الدارس اتساع دائرة الأحكام على روائع الشعر العربي،كتاب مثل كتاب المعاني لسدوسي، وحاتم السجستاني و كتابه الفصاحة، بعدها مباشرة بدأت معالم البلاغة ترسم نهجها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فيه عرفت البيئة المتفلسفة التي ارتبطت بما نقل إلينا من اليونان وعلى ذكر هؤلاء فقد احتدم صراع حولها بين من يرفض ما نقل عنهم، وآخر يستحب كل أفكارها بيد أن هذا الخلاف ولد مواقف عززت أساس البلاغة، خاصة و أنهم نقلوا مختصرات أرسطو في الخطابة و الشعر .

[1]-عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2001، ص22

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1، 2012، ص521

و لابد أن كتاب البديع لصاحبه ابن معتز الذي أكد هذا علم لم يعرف عند العرب إلا بعد ظهور أبو نواس وآخرون إذ أن أبو تمام كان السباق إليه إذ نجده مسرفا فيه هذا ما جعله يحسن تارة ويسيء تارة أخرى، هنا جعل ابن معتز مصطلح البديع في خمسة أنواع و هي : الاستعارة والتجانس والمطابقة، رد الإعجاز للمذهب الكلامي، هذا الأخير نجده عند الجاحظ الذي أطلق هذا المصطلح لأول مرة ، إلى جانب الكثير من النقاد الذين بحثوا في البلاغة أمثال : ابن سلام الجمحي، قدامه بن جعفر، و أبو هلال العسكري .

ثلاث أسماء مميزة في التأليف البلاغي على اختلاف عصورهم : الجرجاني، القزويني ،السكاكي، فمن المعروف لدينا أن عبد القاهر الجرجاني صاحب أول مؤلف في البلاغة وصاحب كتابي أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز ،حيث خص هذا الأخير بتأسيس علم المعارف وخص الأول بدراسة قضايا علم البيان .

و أتربت نظريته في النظم بما احتوت عليه من تنظير للفكر السابق عليه من إضافات إبداعية بمثابة تأسيس علم المعاني[1] بعده بكثير ظهر السكاكي صاحب كتاب المفتاح إذ نجده خص في القسم الثالث منه بالبلاغة : المعاني ،البيان،البديع،ثم جاء القزويني ووضع كتابيه : تلخيص المفتاح و الإيضاح في علوم البلاغة .

الآراء اختلفت حول الواضع الأول لهذا العلم فذهب ابن خلدون إلى أن السكاكي هو الواضع الأول لها بينما أشار طه حسين إلى أن الجاحظ هو الواضع لهذه العلوم ،وأقر مجموعة من العلماء إلى أن الواضع لها هو عبد القاهر الجرجاني ، بالرغم من العثرات التي واجهت البلاغة هنا ، إلا أنها بقيت صاحبة فضل في بيان أساليب العرب و تراكيبهم .

فالبلاغة العربية على هذا دينية المنبت، قرآنية المصدر نمت بين أحضان كتاب الله تعالى، قبل تشبعها بالأدب العربي بوجه عام، ومن تتبعنا لمسارات البحث البلاغي عند العرب التي جمعت تحت اسم البديع و محاسن الكلام لابن المعتز و كذا الجاحظ في البيان و التبيين ،الذي هو المصدر الثاني للبلاغة العربية : هذان ولدا مسار البديع الذي يغذيه الشعر و مسار البيان في الخطابة اللذين كانا يقران ببلاغة أرسطو و شعريته [2].

و على هذا نجد قول القرطاجني : لو وجد الحكيم أرسطو في شعر اليونان ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال و الاستدلالات و اختلاف دروب الإبداع لفنون الكلام لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية [3].

---

[1] –سعد سليمان حمودة ،البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،ط 01، 2002،ص146

[2] –محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، دار إفريقيا للشرق ،ط 01 ،2005، ص 28، 29

[3] –حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،دار المعرفة،بيروت،ط2، ص 68

3- مدارس البلاغة العربية القديمة :

لقد فرضت البلاغة وجودها وأصبحت عاملا مؤثرا في الاتجاه الأدبي اللغوي و منه الفلسفي الكلامي، هذا الاختلاف في المؤثرات في البلاغة أدى إلى سلك اتجاهين، سمي الأول المدرسة الكلامية و الثاني بالمدرسة الأدبية ، علما أن تاريخ التسميتين قديم إذ نجد لكل مدرسة منهجها الخاص بها ،حيث يشير أبو الهلال العسكري إلى أن معالمهما كانت واضحة و يفتخر جلال الدين السيوطي بأنه درس البلاغة على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم و أهل الفلسفة،حيث قال: أنه أصبح موسوعيا في غزارة علمه المتنوع و معرفته الواسعة بشتى العلوم.[1]

فما خصائص كل من هاتين المدرستين وما أشهر رواده ؟

أ. المدرسة الكلامية :

ظهرت هذه المدرسة كاستجابة عصرية للأثر الكبير لعلوم الفلسفة و المنطق في الثقافة العربية الإسلامية، و كان للبلاغة نصيب من هذا الأثر و كانت بداية ظهورها على يد السكاكي في كتابه مفتاح العلوم، وكذا على يد الخطيب القزويني في كتابه التلخيص، و كان من أهم سمات هذه المدرسة :

* التقسيم المنطقي

* جعل التعريف جامعا مانعا

* استعمال أساليب الفلسفة و المنطقية [2]

و نجد أن هذه المدرسة قد انتشرت من الناحية الجغرافية في المناطق الشرقية من الدول العربية، الإسلامية حيث السكان خليط من الفرس و الأتراك مع تواجد بينهم من الأقوام الغير عربية ،و نجد أن البلاغيين قد أدخلوا مقولاتهم في تعريف الفصاحة و البلاغة بعضا من مسائل الفلسفة الطبيعية و الإلهية و الخلقية و قالوا أنهم حشروها لإظهار المعرفة بالثقافات السائدة ،بحيث أزهقوا روح البلاغة و أحالوها إلى قواعد جامدة من كثرة ما نظروا إليها ،فاحتدم الجدل و علا النقاش الحاد في كتب البلاغة بحيث أخرجوها عن صدقها و أصبحت أحكام المدرسة الكلامية بعيدة عن الرواج الأدبي المعتمد أصلا على الذوق الأدبي و الإحساس الفني الصادق و ابتعدوا عن الصور التي تزخر بالمعنى و من أقطاب هذه المدرسة نجد كل من الزمشخري ،السكاكي ،القزويني ،الرازي و بفضل هؤلاء استطاعت السيطرة على الدراسة البلاغية بعد نقد عبد القاهر الجرجاني و بلغت ذروتها في عصور الشروح والتلخيصات، أما أهم كتب هذه المدرسة فهي

[1]- سعد سليمان حمودة، البلاغة العربية، ص148

[2]- المرجع نفسه، ص 150

الشعر لقدامى بن جعفر و البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ،ثم دلائل الإعجاز ،و نهاية الإيجاز للرازي ...و قد سار هؤلاء المؤلفون على منهج السكاكي حتى هذا العصر .

ب. **المدرسة الأدبية :**

ظهرت هذه المدرسة بدوافع و عوامل غير الفلسفة و المنطق، وعلم الكلام الذي قامت عليه المدرسة الكلامية ،كما يمكن القول أنها ظهرت بدوافع أكثر انتماء للقران الكريم الذي يتجلى بوضوح الهوية التي طبعت بحوث البلاغة فيها بطابع أدبي مستند إلى كثرة الشواهد المقتبسة من كتاب الله عز و جل ،إذ كان لهذا الكتاب أثر واضح و ذلك بتعميم الجانب الأدبي البلاغي على ماهية ما كتب ضمن إطار هذه المدرسة ،فكان للشعراء دور بارز فيها حيث شاركوا في التأليف مثل: الشاعر ابن المعتز في كتابه البديع ، و نجد أن هذه المدرسة قد سلكت طريقا مغايرا بابتعادها عن التحديد و التقسيم الذي كانت عليه المدرسة الكلامية ،و لم تهتم إطلاقا باقتباس المنطقيات و مسائل الفلسفة ،بل كانت تميل إلى البداهة والعفوية في اغتراف المعلومة .

و من مميزاتها هذه المدرسة :

أنها تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الأدب .

أنها ترجع الحسن و الجمال إلى جانب الذوق و الإحساس الفني .[1]

وأما فيما يخص أسلوب الكتب التي ألفت فيها فكانت عباراتها سهلة و واضحة لا تحتاج إلى عناء كبير في فهمها ، كما كان في قراءة كتب المدرسة الكلامية ،و السبب في ذلك راجع إلى أن معظم القائمين عليها عاشوا ضمن بيئات عربية كالعراق ،الشام ،مصر ،المغرب بالإضافة إلى أن شعرائهم و كتابهم يملكون ذوقا أدبيا رفيعا ،وحسا فنيا مرهفا،فنجد أن الجاحظ كان أدبيا كبيرا و ابن المعتز كان شاعرا أصيلا ، كانوا كتابا رائعين على عكس المدرسة الكلامية الذين عاشوا في بيئة فارسية أو تركية غلبت العجمية على مؤلفاتها.[2]

اتسمت المدرسة الأدبية بالإكثار من الشواهد والأمثلة ،فالمؤلفون فيها يعتمدون على شواهد موجزة من سطر إلى سطرين أما الأمثلة فتتجاوز الصفحات لتعزيز رأيهم ،و أهم كتبها التي تترجم حركتها و تعرب عن آراء رجالها على سبيل المثال البديع لابن المعتز و الصناعتين للعسكري ،و العمدة للقزويني دون أن ننسى أسرار البلاغة للجرجاني و لعل أهم أعلام هذه البيئة ابن سنان صاحب كتاب البديع في نقد الشعر و ابن الأثير في كتابه المثل السائر ...[3]

[1] -المرجع السابق، ص152

[2] – محمد أمين، البلاغة العامة، دار الأمان، الرباط، ط2، 2014، ص243

[3] – محمد أمين، البلاغة العامة، ص244

4- البلاغة الجديدة:

إن أغلب التيارات النقدية الحديثة متجهة إلى إعادة قراءة البلاغة في ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، و لا شك أن هذا التوجه استند على الدراسات الغربية التي انطلقت منذ الستينات تؤرخ للبلاغة الغربية ، فتوالت الأصوات تدعوا إلى عودة البلاغة بصفتها الإمبراطورية التي هيمنت على جميع حقول المعرفة النقدية و الأدبية في العصور السابقة،و حينما نتفحص معاجم البلاغة و الأسلوبية الغربية نجد كلمة "ريطورية " تدل على معنيين أساسيين :[1]

أولهما :يهتم بالمعنى الحجاجي الإقناعي الذي يصب في التداولية الحديثة

ثانيهما : يهتم بالمعنى الشعري الذي يصب في الأسلوبية .

هذه الثنائية تعزي لاسترجاع ثنائية البديع و البيان في نشأة البلاغة العربية ،و ذلك باعتبار أن البلاغة منذ أن قال القائل قولته و من قبلها و من بعدها و الدرس البلاغي مفعم بالحركة و التجديد

فيرى أوليفي روبول في المفارقات أن البلاغة القديمة استدعيت لعلاج قضايا حديثة لا تعود إلى مجال الخطاب و اللغة ،بل تعدته إلى علم النفس و الصورة و عموما فالبلاغة عادت إلى مجال اللغة عبر مباحث غير لسانية ،التي تحدث عنها هنري بليث و التي كان سببا في تطورها إلى البحث التداولي و نظريات التواصل و النقد الإيديولوجي ،دون أن نتغاضى عن جهود الباحثين الألمان الذين اعتنوا بالبلاغة في علم جمال بلاغي قائم على التأثير و تحليله التاريخي للمعاني المشتركة، من رواد هذه البلاغة الجديدة في فرنسا هم رولان بارت ،جيرار جنيت ،شارل برلمان

هؤلاء استطاعوا أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا ،هذا و نجد أن معظمهم يقر بوراثة البلاغة القديمة و تمثيلها ،فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبة على استرجاع البعد المفقود بين المجال الأدبي الذي يسيطر عليه التخييل ،و المجال الفلسفي المنطقي من جهة و اللساني التداولي من جهة ثانية ،فلا عجب من كل هذا إن ظهرت بالغرب في النصف لثاني من القرن العشرين أصوات تحذر من عواقب اختزال الإمبراطورية البلاغية .

أ. برلمان وتيتيكا:

يرجع الفضل في استعادة البلاغة لمكانتها إلى العمل الذي قدمه العالمان شايمن برلمان و تيتيكا في كتابهما مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة سنة 1958 و الذي لقي نجاحا كبيرا نظرا لمحاولات التجديد التي نستشفها بين ثناياه فقد

عرف الحجاج في العصر الحديث مفهوما أدق و أوضح من المفاهيم السابقة فهو عند وتيتيكا : درس لتقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالخطاب إلى التسليم لما يعرض عليها من

[1]- محمد العمري البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها،دار الكتاب، ط 01 ،1998،ص 175

أطروحات وتزيد من درجة ذلك التسليم فغاية الحجاج هي جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد من درجة الإذعان فينجح في جعل درجة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثه على العمل المطلوب [1]

نجد أن هذا الكتاب يسعى إلى ضبط العلاقة بين الحجاج و البلاغة والذي يمكن قراءته من وجهتين مختلفتين :

1-الحجاج هو البلاغة الجديدة

2-الحجاج من البلاغة الجديدة

و من هنا نلاحظ أن العالمين قد قاما بالاستقراء للوصول إلى أهم خصائص الحجاج فهو عند بعض الفلاسفة نوعان: *الأول قوامه العقل .

*الثاني يتمثل في إثارة العواطف.

والهدف الذي يرمي إليه العالمان هو البرهان و الإقناع و الاستدلال ،و الإقناع غاية الحجاج و الحجة عند برلمان لا يمكن تمييزها عن البرهان الرياضي ،هذا التصور استوحاه من أفكار أرسطو الذي كان يسعى لوضع قواعد لبناء المعرفة العامة .

و من الأفكار التي عالجها بدقة علاقة الحجاج بالخطابة ،و هما بهذا يحيطان ببوتقة أفكار أرسطو كما أسلفنا الذكر هذا الأخير قسم الخطابة إلى ثلاثة أنواع هي المشاجرة و المشاورة و التثبيتية .

نلاحظ من هذه النظرية أن الحجاج يرتكز على مبدأ الاحترام بين الخطيب و جمهوره و ضرورة اعترافه بآراء و أفكار هذا الجمهور ،فهو يحمل خمسة ملامح رئيسية و هي :

- ✓ أن يتوجه إلى المستمع
- ✓ أن يعبر عنه بلغة طبيعية
- ✓ مسلماته لا تغدو أن تكون احتمالية
- ✓ لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة
- ✓ ليست نتائجه ملزمة [2]

و بالتالي فالحجاج عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة لكل من الحجاج و المقام الذي ينجب هذا الخطاب.

[1] – محمد سالم، مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ط1، 2004، ص165

[2]– محمد سالم ، مفهوم الحجاج عند برلمان، ص167

و يشترط برلمان في تحديده للنظرية الحجاجية أن يكون للحجاج تأثير على الغير و السعي لإقناعهم بصحة معتقدات المخاطب و هو ما يخالف الصورة أي المحسنات بالمفهوم البلاغي التي يكمن دورها في إضفاء رونق على الخطاب و هو ما أدى بكل من تيتيكا و برلمان إلى إهمال الظواهر باعتبارها شكلية محضة .

إن البلاغة الجديدة تتحدد عن طريق تحليل تقنيات حجاجية ،و التي تدور حول محورين :

الأول هو محور الخطاب عن طريق البنى الحجاجية ،و محور أثر الخطاب على المستمع انطلاقا من قصد صاحب الخطاب، يتم فيه دراسة الحجاج و تصنيفه و الثاني يدور حول الوضعية التبليغية.

هنا ميز كل من بيرمان و تيتيكا بين تقنيات الخطاب و هي أربعة تقنيات :

الحجج الشبه منطقية :

هي حجج مبنية على شكل الحجج المنطقية الرياضية مثلا التناقض و التماثل التام و الجزئي ...الخ

طرق الوصل :

هدفها يكمن في تقريب العناصر المتباينة أو تقويم عنصر عن آخر إما إيجابا أو سلبا .

طرق الفصل :

هي تقنية تستخدم لإحداث التفرقة و القطيعة بين العناصر المتوافقة ،و التي تشكل عادة كل متجانس .

و هي كثيرة نذكر منها : التماثل ، الحد و الاستعارة ، حجاج التعدية ...

الفصل بين المفاهيم :

لقد دعا برلمان إلى هذه الطريقة و التي تقتضي وجود مفهوم مشترك أو مفهوم واحد هذا من جهة ،لكن ارتباطها بالحجاج الذي فرض عليها ،و من المعروف أن الحجاج يقوم على كسر وحدة المفهوم بسبب ما يسمى بثنائية الظاهر و الواقع .

و على العموم ينبني تصور برلمان الحجاجي على تلك العلاقة القائمة بين المتكلم و المرسل إليه مع ربط الحجاج بالمخاطب أكثر من ربطه بالمتكلم ،فالبلاغة الحجاجية من هنا هي بلاغة ذاتية أكثر ما هي بلاغة موضوعية .

و من هنا أصبحت البلاغة الحجاجية حاضرة في المجتمعات السيميائية و الديمقراطية ،كيف لا ؟ و هي القائمة على أسس متينة لبناء المعرفة و استيعاب عملية الإقناع و التأثير .

لا يمكن الحديث عن البلاغة التقليدية عند برلمان كما كانت سابقا عند سيشرون بل نجدها بلاغة حجاجية تداولية و تطبيقية قائمة على حرية التعبير ، بمعنى أنها ليست مجرد آليات إجرائية لإقناع الآخرين ، بل هي أنجع الطرق

وأفضلها للوصول لحقيقة ثابتة و صادقة فهي على حسب حديثه : البلاغة الجديدة ذات التوجه الحجاجي هي السبيل لتحصيل الحقيقة المثلى .[1]

جاء برلمان بما يسمى بمدرسة البلاغة البرهانية ،و التي شكلت المنظور البلاغي المستحدث لتطور البحوث البلاغية في كل الثورة اللسانية الحديثة ،هذه الأخيرة كانت في منظور الكثير علما قديما ،لإفراطه و لارتباطه بالكتب المدرسية

ب.تولمين والحجاج:

قام تولمين بدراسة الظاهرة الحجاجية إلى جانب برلمان وتيتيكا في بروكسل ،فجاءت أعماله مناهضة للمنطقية الشائعة منذ أرسطو ،إذ سعى إلى صياغة المنطق في الخطاب العقلاني بطريقة جديدة ،وقد اشتهرت نظريته بنفس الدرجة التي لاحظنا بها نظرية برلمان إلى حد ما ،حيث حاول فيها تولمين وضع حد لصورية المنطق الأرسطي والرياضي وذلك بهدف الإصلاح والتجديد ليكون على ملائمة مع التطورات الحديثة الحاصلة في غالب التيارات النقدية واللغوية .

وجاءت نظريته في الحجاج توسيعا لمنطق كان متوقف عن كونه علما صوريا تفرعت من هذا الأخير نتيجتين:

-تجريد المنطق من جزء كبير من إمكاناته التطبيقية

-الوصول به إلى الانسداد الابستيمولوجي

ونجد في هذا السياق بلونتين قد أشار إلى نظرية تولمين باعتبارها تطويرا للحجاج من جهة وتطبيقا له من جهة أخرى وذلك بالاستناد إلى بعض أفكار معاصريه ،بغية تحليل الممارسات الحجاجية بالعودة إلى الاستعمالات اليومية للكلمات مثل:المنطق والحجاج ونظريته المكونة من معطيات وضمانات مثلها تولمين.

[1] – سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، الدار البيضاء، المركز الثقافي، العرب، ط1، 2005، ص 453

ومن هنا نلاحظ أن أقسام اللغة قد ظفرت بنظرية تولمين ،هذه الأخيرة التي تحمل في طياتها أهمية لا يمكن أن نغفل عنها فيما يخص الخطابات الحجاجية، كونها تقوم على توظيف المصطلحات اللغوية في إطار اتساق الخطاب ،إلى جانب كل المعطيات الفكرية والاجتماعية ،كل هذا لهدف واحد ووحيد هو إدراك البعد الحقيقي للحجاج.

ج-الحجاج عند ديكرو:

ورد مفهوم الحجاج عند كل من ديكرو و أنسكومبر من خلال كتاب الحجاج في اللغة في سبعينات القرن الماضي مشيرا إلى أن عملية الحجاج تكمن داخل إطار اللغة و ليس خارجها ، أي أنها تتم في مستوى السياق اللغوي للملفوظات [1] ، و فيما يخص مفهوم الحجاج فقد قدم تعريف له على النحو التالي : " يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) الذي يفضي التسليم بقول أخر (ق2) " [2] بمعنى أنه إنجاز للعاملين ، عامل التصريح بالحجة (ق1) ، و كذا عامل استنتاج منهجية ثانية (ق2) هذا الأخير يكون إما مصرحا به من طرف المتكلم أو ضمنيا .

و يضيفان هنا أنه بإمكان القول 2 الذي هو نتيجة كما أسلفنا الذكر أن يكون ضمنيا شرط أن تكون نتائجه سهلة

مثال ذلك : هل ترغب في مرافقتي لزيارة غسان في المستشفى ؟

لقد زرته .

هنا يكون الجواب "لقد زرته" دليلا يوصلنا إلى الجواب الضمني – لا – و معنى هذا أن كل خطاب مبني على تتابع (ق 1) و (ق 2) تتابعا صريحا ضمنيا "[3] .

و بناء على هذا أطلق ديكرو على نظريته اسم نظرية الحجاج في اللغة .

نلاحظ أن ديكرو و أنسكومبر قد ميزا بين نوعين من الأفعال : فعل المحاجة و الاستدلال .

و يصل ديكرو إلى نتيجة مفادها أن كل من الحجاج و الاستدلال مصطلحان ليس لهما علاقة ببعض ، كون الحجاج يتموضع على مستوى الخطاب والذي تمثل أبنيته اللغة ،في حين يرتبط الإستدلال بالواقع .

[1] – محمد سالم، مفهوم الحجاج، ص203

[2] –المرجع نفسه، ص207

[3] – محمد العمري، البلاغة أصولها وامتداداتها، ص381

نلاحظ من خلال تحليلنا لهذا الفصل وجود تقارب بين كل من البلاغة العربية القديمة و البلاغة الجديدة ، والتي مرت بمرحلتين في الدراسات اللغوية إما في مستواها الفني أو الجمالي ،أولهما التقليدية التي كانت لها مهمة إعانة الكاتب عن طريق الأدوات و الصور البيانية و المحسنات البديعية و هذا ما يسمى بالتنميق اللفظي الذي يساعد بطبيعة الحال على إضفاء ذلك الجمال و الرونق في شكله ،و التي تمثل دورها في الإفهام و التأثير ،أما فيما يخص البلاغة الجديدة فقد انصبت دراستها على الحجاج وكذا اهتمامها بالسامع و ذلك بهدف الوصول إلى إقناعه بمختلف الحجج و البراهين التي يحتويها النص بمعنى أن منهجه المتبع للتأثير بالمخاطب هو في الإقناع و التأثير[1]

[1] نفس المرجع ،ص 381

إن الممتبع لحركة البحث في البلاغة المعاصرة سيجد أن البلاغيين العرب المعاصرين الذين أشاروا إلى البلاغة المعاصرة قليلون جدا فباستثناء صلاح فضل ومحمد العمري وحمادي صمود، لا نكاد نجد إشارات ذات بال في هذا المجال.

المدرسة المصرية:(صلاح فضل)

جدلية البناء و البرهان و التحليل:

قبل الوقوف على أهم أراء صلاح فضل في البلاغة المعاصرة نشير إلى أن الناظر إلى مساهماته يمكن أن يقسمها إلى ثلاثة مراحل على الترتيب الزمني :

1. المرحلة البنيوية :

لم يكن إهتمام صلاح فضل بهذا المنهج في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الدرس العربي بدافع الموضة ،لكن لوعيه بأن هذا المنهج ليس مدرسة أو حركة، بل هو نشاط يمضي إلى ما وراء الفلسفة و يتألف من سلسلة من العمليات العقلية التي تحاول إعاة بناء الموضوع لتكشف عن الفوائد التي تحكم وظيفته من جهة ،و لتقف على أهم المفاهيم و المفاتيح التحيلية في نص ما من جهة أخرى .

و قد تبنى صلاح فضل في تطبيقاته البنائية و الدلالات البلاغية الإتجاه الأخير ، و هو ما يتجلى من خلال معظم قراءاته التطبيقية كإنتاج الدلالة و شفرات النص و أشكال التخييل ...الخ

2. المرحلة التحليلية القرائية :

بدأت هذه المرحلة بعد كتابيه :البنائية ، و علم الأسلوب و هي لا تزال متواصلة ،و أهم ما يميزها التنوع و مواكبة الجديد في حقل النقد العالمي و البلاغة المعاصرة .

و الملاحظة الأساسية التي تجمع بين هذه القراءات هي مواءمتها بين المناهج بحسب مقتضيات القراءة و السياق من جهة ثم ترك الحرية للنص المقروء ليختار المنهج الملائم لتحليله من جهة أخرى[1]

[1] بارت رولان ،قراءة جديدة للبلاغة القديمة ،المغرب ،دار إفريقيا للشرق ،ط1994،01، ص258

3. المرحلة البلاغية النصية :

بدأت هذه المرحلة في نهاية الثمانينات من القرن العشرين ،و توجهت بكتاب بلاغة الخطاب و علم النص الذي يعد أول دراسة عربية نقدية موسعة تعرض للقارئ العربي أهم أراء البلاغيين المعاصرين بصفة عامة ،و بلاغة الحجاج (البرهان) أبرز ممثليها "بيرلمان" بصفة خاصة و أهم قضيتين بلاغيتين تطرق إليهما بخصوص البلاغة المعاصرة نذكر :

أ. البلاغة البرهانية الحجاجية :

إن البلاغة المعاصرة انفتحت بفضل التداخل المعرفي على العديد من الحقول المجاورة ،و أثبتت في ذلك قدرة كبيرة على الإستيعاب و التوظيف بفضل الكفاءة المنهجية ،و بذلك تأكد الدارسين أن التحليل البلاغي الحديث يختلف جوهريا عن البلاغة القديمة في رصدها للأشكال المختلفة كجزيئات متشذرة لا علاقة بينها و لا تفاعل فيها ،بحيث تبدأ البلاغة المعاصرة من النص لتقوم بتحليله و رصد مكوناته و رسم درجات كثافته و أنماط توظيفه لمختلف الأشكال الفعلية ثم علاقاته بالخارج عنه و المجاور له .

لقد بدأ التيار البرهاني حديثا مع الإهتمامات التي وجهها بيرمان منذ نهاية الخمسينيات إلى إعادة قراءة البلاغة القديمة بصفة عامة ،و بعث العناصر البلاغية الحجاجية خاصة .

هذه العناصر التي كان توظيفها في بداية الأمر مقتصرا كما يقول صلاح فضل على دراسة المنطق التشريعي القضائي ،بما فيه من مرافعات و مداولات و نشاطات تعتمد على التأويل و الجدل .

و لقد لعب الأسلوب القضائي دورا كبيرا في البلاغة اليونانية في لفت النظر إلى أهمية الحجاج ،و لقد تطور لاحقا وتوسع ليشمل دراسة الوظائف اللغوية و خاصة منها التواصلية ،و كذلك طرق التحليل النصية .

و ينبغي أن يشمل التحليل الحجاجي هؤلاء المخاطبين بجميع أقسامهم :

- من سامعين ومنصتين

- قراء ومتمعنيين

- مشاهدين وملاحظين [1]

إذ بذلك تتجاوز البلاغة المعاصرة بعض مظاهر الجمود في البلاغة القديمة التي كانت ترتكز بالغا على هيئة الخطيب وعناصر الإشارة المتعلقة بالمشافهة .

[1] عبد الله صولة ،نظرية الحجاج في التقاليد الغربية ،كلية الادب ، المغرب ،جامعة محمد الخامس ، ط01 ،1997، ص54

ويشير صلاح فضل إلى أن مقياس التأثر و الإقتناع من طرف المخاطبين ليس المعيار الوحيد لنفاذ الخطاب و نجاعته ،إذ أن ثمة أبعاد عقلية منطقية لابد من الإهتمام بها في الأبنية الحجاجية ،لأن هذه الأخيرة تتوجه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات و الضغوط و المصالح و الأهواء

و بذلك يتضح لنا أن هذه التقنيات البرهانية تبدو على كل المستويات سواء أكان الأمر يتعلق بنقاش عائلي أو بحوار جدلي في وسط مهني متخصص أو بمحاجة إديولوجية .

إذا كان صلاح فضل قد قدم لنا أهم الأفكار التي يطرحها أصحاب النظرية الحجاجية و بين لنا في الوقت نفسه روافدها المعرفية و أدوارها الفنية ،إلا أننا يمكن أن نقول أن من أبرز الإضافات التي قدمها في تناوله للبلاغة المعاصرة الحجاجية :

1. التمييز بين البحثين البلاغي و الأسلوبي
2. توسيعه لدائرة البلاغة المعاصرة لتشمل إلى جانب الأصول القديمة قضايا علمية كالذكاء الإصطناعي و علمي النفس و الإجتماع المعرفيين .

ب. **الإستعارة بين الدلالة و السياق :**

يرى صلاح فضل أن ثمة عدة ميادين ملقاة على البلاغة اليوم ،منها الفني و السياسي و الإجتماعي بجميع درجاته وتفرعاته لذا فعليها أن تهتم بتحليل الواقع و مكوناته و أنماطه و درجات تفاعله مع السياقات الثقافية والإنسانية الفكرية التي يندرج فيها .

كما أن على البلاغة أن تشرح خاصية تعدد الخطابات داخل كل مجتمع بحسب الثقافة السائدة و السلطة الأدبية الرائجة فقد احتلت الإستعارة في البلاغة المعاصرة مكان الصدارة ،لما تلعبه من أدوار في خطاباتنا اليومي و الفنية على حد سواء و ذلك لطبيعتها المرنة، فالإستعارة ليست وجها بلاغيا مقصورا على الخيال الشعري و الزخارف اللفظية ،و إنما هي عنصر يدخل بقوة في أنساق خطاباتنا المعتادة [1].

و يحتل السياق في البلاغة المعاصرة دورا مهاما في الفهم و التلأويل إذ أنه يشمل أزمنة الكتابة و القراءة و العلاقات بين الوحدات النصية الداخلية [2].

و تلعب الإستعارة في مختلف هذه السياقات دور الرابط و المولد بوصفها عامل التفاعل الأساسي ،ثم لكونها الوحدة النظرية السياقية للدلالة ،و بالتالي فهي ليست تحويلا أو نقلا معينا للكلمات ،و إنما هي تكثيف لدلالة الكلمة التي تتفاعل داخلها أبعاد المصرح به و الملمح إليه .

[1]- المرجع السابق، ص55

[2] المرجع السابق ، ص55

المدرسة المغاربية :

من أهم أعلامها محمد مفتاح و محمد العمري .

محمد مفتاح :

يعد من الجيل الأول للنقاد المعاصرين ، لديه رصيد ثقافي متنوع و رؤية نقدية مستقبلية جعلاه يتبنى مشروعا نقديا حضاريا سعى من خلاله لدراسة الثقافة العربية في تفاعلها مع الأخر ،و قد بدأت أولى لبنات هذا المشروع بكتابه مجهول البيان تلاه التلقي و التأويل .

و من خلال تمعننا لمشروعه أمكننا تفصيله إلى مرحلتين مهمتين هما :

1- المرحلة البلاغية التأويلية :

بدأت هذه المرحلة بكتاب مجهول البيان الذي حاول فيه محمد مفتاح دراسة بعض الأوجه البلاغية البيانية و خاصة في علاقاتها بالدلالة و التأويل .

فالتأويل بطابعه الإختياري يعد عامل بعث و تجديد و تقريب ،و من هنا يمكننا القول أن التأويل في نظره هو ألية منهجية حجاجية تداولية .

و يضيف محمد مفتاح في ضوء هذه التصورات كلها إلى القول أنه يمكن النظر إلى المشروع التأويلي من زاويتين و كلتا الزاويتين تجعل منه معاصرا لنفسه و معاصرا لغيره :

فأما معاصرته لنفسه فهذا لا يحتاج لإسالة المداد فيه أما معاصرته لغيره فيمكن أن ينظر إليها هي الأخرى من ناحيتين [1]:

ناحية إيديولوجية سعت إلى التوفيق بين فئات المجتمع دون إلغاء أي فئة و هذا ما يجده القارئ عند ابن رشد و الشاطبي متجليا في طروحاتهم الفلسفية و التأويلية كالإعتراف بتعدد الطرق المؤدية إلى المعرفة و عدم التقابل بين المذاهب والإتجاهات ،و من ناحية أخرى نجد إبن الخطيب في الجمع بين الأرسطية و العقلانية و الإسلامية ،و بهذا المعنى يكون التأويل رهانا ما علينا إلا أن نسارع إلى كسبه بالبحث العلمي الجاد و الجديد حتى نستنير بماضينا لحل مشاكلنا [2]

2- مرحلة التناص و المثاقفة :

و هي مرحلة تعتبر تواصلا لنتائج المرحلة السابقة ،و تبدأ بدراسة المفاهيم و التي حاول من خلالها محمد مفتاح ايجاد تأويل واقعي لها و ذلك على إعتبار أن المفاهيم هي الضابط و الموجه للحركة في المجالين الحياتي اليومي و المعرف العلمي

[1] صلاح فضل ،علم الأسلوب ،سلسلة المعارف ،الكويت ،1985،ط 01، ص203

[2] المرجع السابق ،ص 204

إن هذا النموذج يعتبر التأويل عملية لغوية إنسانية و بالتالي فهو يقسمه إلى قسمين :

أولهما تقوم به اللغة .

ثانيهما ينجزه الإنسان.

و يطبق محمد مفتاح هذا التصور المفاهيمي على مفهوم النص في الثقافات الإسلامية و غيرها محاولا رصد تفاعلاته وخصائصه ودرجات تأويله و أليات بنائه و طبائع دخوله في أنسجة نصية أخرى مماثلة أو مغايرة هذا ما يجعل الفكرة الأساسية لهذا التصور ذات بعد معرفي تداولي تثاقفي .

لذا نجده يصرح بأنه إنما يتبنى مفهوم النص لتطوير الثقافة العربية و اغنائها و توحيد التفكير فيها حتى يتسنى إقامة تفاعلات إجابية بين الثقافات التي تتأثر و نأثر فيها .

تتميز أفكار هذا المشروع وتصوراته بأنها تستند إلى فكر مؤصل، متعدد المشارب الشرقية والغربية، القديمة والحديثة، كما أن صاحبه حاول توظيف كل الحقول المعرفية التي اطلع عليها من أجل تحقيق هدفين كبيرين:

أولهما إثبات ضرورة الأخذ بفكرة النقد المعرفي كسبيل ناجع لمساءلة الذات وإدراك الموقف من الأخر، وكذا الموقع منه[1].

أما الثاني فالتأكيد على أنه بالإمكان صياغة جهاز مفاهيمي ناجع ومقنع من المدونة المتناولة، قديمة كانت أم معاصرة، وبالتالي فهو يدعم المقولة التي تحذر من الإسقاطات المنهجية والمفاهيمية، على اعتبار أن النص له من الوعي البنيوي ما يمكنه من اختيار المنهج الملائم وكذا المفاهيم.

المدرسة التونسية:

تعتبر هذه المدرسة من المدارس التي اهتم أعضاؤها منذ وقت مبكر بالدراسات الأسلوبية عامة والبلاغية خاصة، من أهم أعضائها : عبد السلام المسدي وحمادي صمود.

وسيتركز اهتمامي هنا على بعض بحوث الدكتور صمود، نظرا إلى أن المسدي غلبت على دراساته مناح أهمها المنحى اللساني، ثم المنحى النقدي، أما المنحى الثالث فهو نقدي ثقافي.

ومن هنا يمكن القول أن المسدي في توجهه يمارس نوعا من النقد الثقافي شبيها بالنقد المعرفي الذي تبناه محمد مفتاح خيارا بحثيا[2].

[1] ابن رشد ،الخطابة و الحجاج ،بيروت ،دار القلم ،دط،1999، ص 65

[2] المرجع السابق ،ص 65

حمادي صمود: من التفكير البلاغي إلى الوعي الحجاجي

حمادي صمود من الباحثين العرب المعاصرين القلائل الذين تبنوا البلاغة لمفهومها الواسع (الشرقية والغربية، القديمة والمعاصرة) خيارا بحثيا منذ فترة السبعينيات، وعلى وجه التحديد عند ظهور أطروحته (التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس) التي تعد مشروعا للقراءة، وقد نوقشت في سنة 1980.

يمكن أن نقسم المراحل النقدية لحمادي صمود إلى مرحلتين أساسيتين:

أ- مرحلة القراءة النقدية:

وقد بدأها بأطروحته التي حاول فيها قراءة المدونة البلاغية حتى القرن السادس هجري مركزا في هذه القراءة على ما يسميه الحدث الجاحظي الذي يرى أنه كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج والجدل المنطقي بدلا من القتل والعراك، وتعطي لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة وللمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب، على إعتبار أن عملية الإبداع والتأليف ليست سهلة، بل تتضمن إلى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى نفسية واجتماعية ومقامية متعددة [1].

وهو يرى أن أهم قضايا التفكير البلاغي حتى القرن السادس يمكن أن تتلخص تحت ثلاث أقسام كبرى: المفاهيم والمنهج والإجراء.

ونشير أن حمادي صمود قدم في هذه المرحلة القرائية النقدية الأولى، إلى جانب أطروحته المهمة، دراسات نظرية وأخرى تطبيقية كان بعضها كتبا ودراسات تدور في معظمها حول قضايا أدبية ولسانية وبلاغية معاصرة.

ب - مرحلة الإهتمام بالحجاج:

ينطلق حمادي صمود في هذه المرحلة من اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا، لأنها تعد أهم مظهر تتجلى فيه خاصية التداخل المعرفي، إذ أن بلاغة الحجاج تقوم على إستغلال جميع العناصر المجاورة والمساعدة في فهم الخطاب وتوصيله.

فالحجاج علاقة بين طرفين أو عدة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا.

والوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف متعددة منها ما هو متعلق بالمتكلم ومنها المتعلق بالمخاطب ومن الخاص بالمقام، ومنها وهو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها، لأن الحدود بين

[1] محمد سالم محمد أمين ،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1985، ط 01 ، ص 222

اللغة والفكر غير قائمة ولذا كانت اللغة تمد المتكلم الحاذق بالأساليب الكفيلة بزحزحة المخاطب من موقعه، ومن هنا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة هي:

1. البصر بالحجة:

وتعني حسن الاختيار والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة أو الخروج عن دائرة فعلها[1].

2. تركيب الأقسام:

أي ترتيب الحجج التي اختارها المتكلم بحيث يضع كل واحدة في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعلية، فللمقدمة بناؤها الحجاجي، وللوسط كذلك لغته وحججه، وكل ذلك يصب في الخاتمة التي ينبغي أن تلخص كل ما سبق، في لغة قوية ملحقة مختصرة تدفع السامع إلى انجاز مضامين الخطاب أو على الأقل الوقوف منه موقفا إيجابيا.

3. العبارة :

حيث يعقب اختيار الحجج و ترتيبها في البحث عن الأسلوب الأمثل القادر على حمل تلك المضامين و توصيلها على أكمل وجه ،لذا فلا بد أن يلقى هذا القسم أهمية كبرى في تاريخ البلاغة على حساب الأقسام الأخرى مما ساعد في فترة معينة على تماهي الحدود بين الخطابة و الأدب .

و يرى حمادي صمود أن ظروف نشأة الخطابة اليونانية و الحاجة إليها و التغيرات التي لحقت بها تختلف كلية عن ظروف نشأة البلاغة العربية المعاصرة ،فالخطابة اليونانية في نظرية أرسطو تتوسط بين القولين الجدلي و الشعري ، أي أن مجالها الإختلاف و الخلاف لأنها مبنية على الحجاج ،و هو ذو بنية إحتمالية ترجيحية بين الأراء المتعددة الذي يشجع فضاؤه على تواردها ، و بالتالي تكون الغلبة للمتمكنين فقط ، و يكون الموقف صراعا متواصلا بين الأراء و الأطروحات التي تظهر بين الحين و الاخر .

و قد دعا اليونانيون إلى ذلك ظروف ديمقراطية و الدفاع ضد الجور ،هذا في حين أن البلاغة العربية ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر و التفوق في الشعر مبني على الإجادة في القول و التصوير و حسن الإيقاع بما يجلب الاسماع إليه ويطرب السامعين [2].

و يستغرب صمود كيف أن البلاغيين العرب القدامى عندما درسوا مأتى إعجاز القرأن الكريم أرجعوه إلى الشكل و الهيئة و تصاريف الكلام ،و لم يدر بخلدهم أن يأتي إعجاز القول أيضا من

[1] مفتاح محمد ، النقد المعرفي و المثاقفة ،المغرب المركز الثقافي العربي ، ط01 ، 2000، ص 98

[2] المرجع السابق نفسه ، ص 99

الحجج التي يبنيها ،و السياسة التي ينتهجها في ترتيبها للتتظافر مع الشكل و الهيئة ليبلغ النص من سامعه قصده ،و يزداد استغرابه عندما يتطرق إلى مصنف البيان والتبيين و هو من أهم النصوص المؤسسة للبلاغة العربية ،و قد كتب الجاحظ من منطلق حجاجي مناظراتي بهدف إقامة بلاغة للحجاج كانت الحاجة إليها ماسة أيام الصراعات المذهبية الفكرية ،فيجده في كتابه يهتم بأطراف العملية الخطابية من متكلم و سامع و نص ،كما يجده يذكر للخطابة وظائف منها الإحتجاج على أرباب النحل و البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ،لأن سياسة البلاغة أشد من البلاغة ،و على الخطيب أن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة و يطبقهم بها ،لكن الغريب أنه لم يبق من هذا الفكر الذي يؤلف بين رافدين كبيرين في دراسة الكلام هما الرافد الخطابي و الرافد الشعري ، إلا المقاييس المتعلقة ببلاغة النص من جهة ما فيه من حلية و زينة و شكل .

و صمود و هو لا يستثني حتى عبد القادر الجرجاني الذي تميز بنزعته الجدلية في دفاعه عن الأشاعرة و الذي كان يمكن لكتابه دلائل الإعجاز أن يصبح فرصة الثقافة الإسلامية لدراسة الخطاب في أبعاده الإستدلالية المنطقية ،لكنه مع ذلك لم يتجاوز تلخيص الأدلة الدالة على الإعجاز القرأني و محاولة التوفيق بينها في إطار نظريته في النظم التي جعل الإلزام النحوي قوامها .

وهكذا مع تقدم الزمن أصبحت البلاغة صناعة للزينة و التباهي و الزخرفة اللفظية ،و على هذه المفارقة ستعيش البلاغة العربية طيلة تاريخها بإعتبارها احتفاء بالشكل و تغييبا له في الوقت نفسه ،اهتماما بالصياغة و اللغة ،و حرصا شديدا على وضوح المعنى .

لقد شهد العصر الحديث تطورات مهمة مست جوهر حياة الإنسان ،و كان لابد من التوسل في بعض هذه التطورات بالدلالة البلاغية اللغوية لتحقيق أهداف معينة ،و من أهم هذه التطورات غرس الحاجة حيث لا حاجة ،و إغواء الناس بالإقبال على السلعة بما يستحدث فيها من تطورات إما في مظهرها أو في فاعليتها و هي تطورات مفتعلة و لكنها تقدم في صورة مقنعة ،فدخل العصر في بلاغة الإشهار مما فتح الأبواب أمام عودة الخطابة و رجوع وظيفة الإقناع و التأثير في صيغة لم تعرفها من قبل .

و صارت هناك بلاغة تتعمد و تعتمد التأثير بأساليب مختلفة تقوم على بلاغة الصورة المرئية المبنية غالبا على صورة استعارية يشارك المتلقي في فكها و فهمها ليكون إقتناعه بمضمونها أكبر .

و بالتالي نجحت هذه البلاغة في ذلك ،و أصبحت متحكمة في أذواق معظم الناس بل صارت تتحكم في توجيه إختياراتهم الشكلية و المضمونية ،و أصبحت لهذه البلاغة مؤسسات عملاقة متخصصة في تقنيات هذا النوع من الخطاب الإشهاري و الموضوعي المعاصر[1] .

و بالتالي كانت الدعاية على مختلف الأصعدة و خاصة منها السياسية و الاقتصادية من أهم العوامل التي ساعدت على عودة الخصائص الخطابية و بالتالي يمكن أن نقول دون أدنى مبالغة أن أهم ألية خطابية و بلاغية هي الثورة الإتصالية والمعلوماتية و ليست العولمة الإقتصادية و الثقافية إلا وجها من الوجوه البارزة من الخطابة الحديثة ،حيث يقع تمرير الأفكار و التصورات والأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ماهو قائم في ظل المتلقي ،و الغاية هي ابعاده عما يعم ذهنه وإحلال ما نريد نحن مكانه ، بتحريك الإعجاب بما نعرض عليه ،أو بخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع .

هذه القوة التي ظهرت عليها البلاغة و كذا المكانة المعاصرة لم تكونا لتتحققا لولا انفتاح الخطاب البلاغي على كل العلوم المجاورة و الإستفادة منها فكرا و منهجا ،لأجل خلق خطاب بلاغي قوي و نافذ و متنوع بحسب مختلف الميادين التي يظهر فيها .

و قد تحققت للبلاغة المعاصرة هذه الخصائص بفضل بنيتها اللغوية المرنة من جهة ،و بفضل الخاصية الإحتمالية الخلافية التي تعد أهم مميزاتها ،و التي منحت نصوصها الإنفتاح على التأويل و إعادة الإنتاج من جهة ثانية .

إن بلاغة الخطاب إنما تتحقق بما فيه من الأبنية الحجاجية و الأساليب لتأثير على المخاطب ،و هو ما يعتبره صمود إضافة إلى خصائص أخرى متعلقة ببنية الحجاج كفيلا بإعتبار البلاغة في مفهومها العام حجاجا ،و نلاحظ من هذا الإستعراض لأراء صمود للحجاج ،و خاصة أنه يعد من أبرز المطلعين في حقل البلاغة المعاصرة ،أنه من جهة يتوسل بأليات هذا الحقل لقراءة البلاغة العربية القديمة من أجل إخراج أهم مقولاتها التي يمكن أن تساهم في الدراسات النقدية المعاصرة بكل مستوياتها النظرية و التطبيقية ،و من جهة ثانية لدراسة راهن و مستقبل الخطاب الأدبي الذي يشهد في ظل ثورة التواصل و تقنيات الصورة تغيرات جمة لم يكن العقل البشري يتوقعها .

لقد أصبح في ظل هذه الثورة تجسيد الخيال بصفة مضارعة للواقع أمرا ممكنا ،كما أن تجسيم المتوقع أصبح هو الأخر أمرا عاديا يمارس عليه الإنسان كل التغيرات و التحورات الملائمة قبل تجسيده فعلا على أرض الواقع في متناول الإنسان .

إن هذه الثورة تخلق مفارقات عدة على مستوى الأدب و الفكر و الخطاب و الحراك الاجتماعي و الحضاري ،فهي متلاحقة متسارعة سرعة الطاقة التي تتحرك بها و تواكب مختلف جوانب الفرد.

[1] المرجع السابق ، ص 100

و بالتالي فهي تسير بوتيرة أسرع بكثير من وتيرة البينتين الاجتماعية و العقلية للإنسان ،إذ أن التطور و التغير في هاتين البنيتين يتطلب تحققهما فترة زمنية ليست بالقصيرة ،و هذا في حد ذاته يخلق إشكالا معرفيا تطوريا منهجيا كبيرا بين الواقع و الخيال ،الكائن و الممكن ،و أيضا بين الكلام و اللغة[1].

و هذا بدوره يطرح علينا أسئلة أخلاقية و جمالية و أسئلة فلسفية و يزرع في نفوسنا شيئا من الخوف بل من القلق مما قد يطرأ في المستقبل على المجال الذي قضى الإنسان حياته كلها يرسمه بثنائية الواقع و الخيال و مما قد يطرأ نتيجة لذلك من إرتباك الفعل الأدبي إذ تنطمس الحدود المطمئنة بين ماهو من مجاله و ما ليس من مجاله .

و بالتالي يمكن القول أن الحجاج خاصة و البلاغة المعاصرة بصفة عامة لا تقف في نظر صمود على دراسة أليات التأثير و التأثر بل تتجاوز ذلك لدراسة التغيرات التي جدت و التي يمكن أن تجد على ثنائية النص و الخطاب في علاقتهما بالواقع و بالمخاطبين من جهة ،و علاقتهما بالثورة التقنية التواصلية السريعة الخطى من جهة ثانية .

و من الطبيعي أن تعمل هذه الجدلية التسائلية النابعة من حيرة و قلق معرفيين على فتح باب البلاغة الحجاجية على أفاق رحبة ما تزال معالمها مرهونة بما ستسفر عنه هذه التطورات الرقمية الإعلامية الصورية المتلاحقة [2].

[1] صمود حمادي ، من تجليات الخطاب البلاغي ،تونس ، دار قرطاجة للنشر ،ط 01 ، 1999، ص 86

[2] المرجع السابق ، ص 88

يعتبر محمد العمري أهم البلاغيين العرب المعاصرين الذين كان له دور في تجديد مفهوم البلاغة و تطويرها، كيف لا ؟ فهو غني عن التعريف و ذلك من خلال تشبعه بالتراث و تحكمه بالنظريات و المناهج العربية و كذا الغربية و إسهاماته العلمية و الأكاديمية ، كل هذا لإرجاع البلاغة العربية إلى الواجهة .

من خلال هذا الفصل سأحاول تقديم تعريف موجز للدكتور محمد العمري و إبراز أهم الأعمال التي قام بها من أجل إحياء التصور الأصيل للبلاغة الجديدة و المعاصرة ّأنا هنا في مقام تقديم دراسة نقدية لأهم إسهاماته و ذلك لبلوغ الهدف المرجو و سأعتمد على عينتين من أهم كتبه محاولة كشف محتواها و الجديد الذي أضفاه على الدرس البلاغي الحديث [1]

السيرة الذاتية [2]:

ولد محمد عبد الله العمري سنة 1945 بقرية سكورة جنوب المغرب، تحصل على شهادة الدراسات المعمقة والعليا سنة 1981 و دكتوراه في الأدب العربي بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1989 ، عمل كأستاذ للبلاغة و تحليل الخطاب و النقد الأدبي في كليتي الأداب بفاس و الرباط، و كانت جهوده منصبة على قراءة البلاغة العربية القديمة قراءة نقدية نسقية و السعي إلى توظيفها في بناء البلاغة الجديدة مستعينا بالدراسات الغربية الحديثة .

لقد كان عضو إتحاد كتاب المغرب و خبير معتمد لدى اللجنة الوطنية لمنح الإعتماد في الدراسات العليا و الدكتوراه التابعة لوزارة التعليم العالي منذ 1997 إلى جانب إشرافه على ثلاثة وحدات للبحث بجامعة محمد بن عبد الله بفاس وكذا بجامعة محمد الخامس في الرباط و هي وحدة النقد القديم و وحدة التواصل و تحليل الخطاب ،و وحدة البلاغة الجديدة و النقد الأدبي و هذه الأخيرة التي يرأسها حاليا بكلية الأداب و العلوم الإنسانية بالرباط من 1998 الى غاية 2005 .

كما كان عضو اللجنة العلمية الشعبية للغة العربية في نهاية الثمانينات ،و عضو لجنة التنسيق لشعبة اللغة العربية بكلية الأدب بالرباط من 2003 الى 2005.

و لمحمد العمري عدة مؤلفات و ترجمات نذكر منها :

-في بلاغة الخطاب الإقناعي

-مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابه العربية

-البلاغة والأسلوبية

[1] محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها ، المغرب ، دار إفريقيا ، الشرق ، ط01 ،1999، ص 74

[2] المرجع السابق ، ص 206

-تخليل الخطاب الشعري

-البنية الصوتية

-اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم

-الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ،تاريخ جديد للبلاغة العربية

-البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها ،البلاغة بين التخيل و التداول .

يعد محمد العمري من أبرز البلاغيين العرب الذي أسهم في إحياء البلاغة من حيث إستثماره للمكتسبات المنهجية الجديدة ، ولاسيما جهوده و إنجازاته العلمية التي بذلها في النهوض بالبلاغة في الغرب و العالم العربي .

و في هذا السياق سأحاول إبراز المفاهيم الجديدة التي لون بها محمد العمري البلاغة العربية الجديدة و ذلك من خلال دراسة نقدية لإسهاماته عن طريق أخذ عينتين من موسوعته الثرية و هي كالأتي :

- البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها
- البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول

تقديم الكتاب الأول :

أصدر محمد العمري كتاب البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها سنة 1995 بدار إفريقيا الشرق بيروت الدار البيضاء في المغرب .

يتميز هذا الكتاب بمدونة تتسع بضخامة الحجم و إتساع الزمن الذي يمتد عبر القرون و يحتوي على 550 صفحة، يتألف من قسمين و مقدمات و خلاصات إذ عرض فيهما تاريخ البلاغة العربية منتهجا مسارين هما :

1. مسار البلاغة ،النص الخاص.
2. مسار النص العام .

ضم القسم الأول خمسة فصول لكل فصل مبحثين ،و قد قسم الفصل الواحد إلى عناوين فرعية [1]:

أ. البلاغة و نقد الشعر .
ب. من تبرير المجاز إلى بيان الإعجاز .
ت. البلاغة و المعرفة من البيان إلى البلاغة .

[1] محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها ،ص 99

ث. من البلاغة العربية إلى البلاغة اليونانية .

تميز هذا القسم بتناول البعد التاريخي الشامل و الكلي ، وذلك في قوله : ما يطمح إليه الكتاب هو أن يكون خطوة في السعي لكتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية ،إلى جانب تشدده على عبارة السعي ،جاعلا البعد التنظيري التحليلي من بين أولوياته ،حيث عمل على اتخاذ قراءة تاريخ البلاغة العربية بالاضافة إلى الإستعانة بالتحليل البنيوي منهجا لتحليل بنيات المؤلفات البلاغية ،ناقلا بذلك الرصد البلاغي العربي من وضعية البنية التاريخية الجامدة، المرتبطة بعصرها إلى حلقة دينامية للأسئلة الإنسانية التي يتصل أولها بأخرها تجاوزا و تعارضا و تقابلا [1].

ثم انتقل إلى التحدث عن البلاغة و الإختيار الشعري ممهدا لها بالحديث عن الكتب التاريخية للنقد العربي القديم منها كتب أبي تمام إلى جانب مقدمة المرزوقي حيث كشف شرائط الإختيار في عمل أبي تمام متوصلا إلى البحث عن عمود الشعر من جهة و طبيعة التلقي من جهة ثانية ،و قد أثار عدة أسئلة جوهرية في زمانه إذ نجدها تتكرر في كل عصر، نذكر منها: ما خصوصية الأدب ؟ لماذا يختلف الناس في تلقيهم الأدب ؟

و يمكن رصد أسئلته في كتاب أسرار البلاغة و رغم الجهود المبذولة إلا أنه لم يتمكن من إعطاء إجابات شافية و وافية .

لقد تناول هذا القسم الأول كيفية الإطلاع على الخصوصية الشعرية و الصور المعبرة عنها عن طريق عملية داخلية ذاتية،تتم تدريجيا بين النص و المتلقي في إطار فردي و جماعي ثم إنتقل إلى اكتشافها من الخارج إلى جانب استفادة البلاغة العربية من هذه العملية و ربطها باللغة و الفكر نجد محمد العمري قد حاول استكشاف أهم المنجزات التي أوردها أبو عبيدة في كتابه مجاز القرأن إذ يعتبر أقدم و أوسع محاولة لمد الجسور بين النص القرأني و العربية ، فقد قام بجهد عظيم في تتبعه للنص القرأني إذ وصف عمله هذا بصفة التفسير .

و في القسم الثاني ضم أربعة فصول خصصها المؤلف لتحديد المسارات الكبرى للبلاغة العربية معنونا إياها فيما يلي :

- مقدمات عامة ، ممهدات و خلفيات .
- بين الغرابة الشعرية و المناسبة التداولية .
- بلاغة الصحة و التناسب .
- البلاغة المعضودة .

[1] المرجع السابق ،ص 100

تحدث الكاتب عن المحاولات الأولى للبلاغة بإعتبارها أولى العلوم ، بعد معرفة الله و هذا حسب رأي أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين إذ يعتبر هذا الأخير أول محاولة لقراءة أعمال البلاغيين العرب كما قام ببذكر البلاغة (البديع)[1].

و قد تميز العسكري بفصله بين مستوى اللغة العادية و مستوى اللغة الأدبية في حديثه عن الأخذ و تداوله للمعاني و إلى جانبه نجد الجرجاني الذي ميز بين مستويين هما :

-المستوى الغرضي.

- مستوى الذرائع.

و نجده قد تناول موضوع النظم في كتابه دلائل الإعجاز ،كما يتحدث ابن سنان عن طبيعة الكلام بحيث يؤكد أن الكلام هو الصوت الواقع على بعض الوجوه و ذلك بإعتراضه لتعريف النحات الذين أقروا بالعكس تماما، أي أن الكلام عندهم هو ما انتظم من الحروف ، و نجم عنه اغناء البلاغة العربية .

لم يخف على محمد العمري في تقديم الخطوط العرضية في قراءة البلاغة العربية القديمة ،و ذلك بتحدثه عن السكاكي الذي كان له تاريخ خاص في تصنيف البلاغة العربية من خلال كتابه مفتاح العلوم الذي سمي بعلم الأدب ، إذ يقول

بشأنه أن علم الأدب الذي نراه تصورا مبكرا لما يسمى حاليا علم النص،و هو بدوره أقر أن المعاني و البيان مبحثان مكملان للنحو .

نلاحظ أن بلاغة السكاكي تعبر منطق التقاطع للنحو (علم المعاني) و المنطق (علم البيان) و الشعر (علم البديع والعروض) فبلاغته تتقاطع بين ثلاثة مباحث متداخلة .

و كانت خاتمة كتابه تحتوي على المشروع البلاغي عند حازم القرطاجني من خلال كتابه منهاج البلغاء الذي يقر فيها أن علم البلاغة قائم على الشعر و الخطابة إذ يشتركان في مادة المعاني و يختلفان في تصور التخييل و الإقناع،و نجد أن الكتاب يحتوي على أربعة أقسام حللها و عالجها بالتفصيل .

إن الكتاب قد عالج قضيتين أساسيتين أولهما اظهار مدى غنى البلاغة العربية وأن الصياغة المعتمدة في الجامعات حاليا ليست سوى قراءات واحدة للتراث العربي أما الثانية فتكمن في قضية اختلاف البلاغيين في تحديد أصل البلاغة العربية هل هي من أصل واحد أم مجرد حرفي للتراث اليوناني ؟

[1] المرجع السابق ، ص 101

تقديم الكتاب الثاني :

صدر كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول للدكتور محمد العمري سنة 2005 بدار البيضاء إفريقيا الشرق ، يتألف من مقدمة و ثلاثة فصول و ملحق ،كما يضم مقالا مترجما للبلاغي الفرنسي أوليفي روبول تحت عنوان هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ .

إلى جانب معالجة الكتاب عدة إشكاليات منها ما ورد في الفصل الأول :

- ماذا نعني بالبلاغة ؟
- هل توجد بلاغة واحدة أم عدة بلاغات ؟

يتكون الفصل الأول من مبحثين حيث كانت البداية تتمحور حول توضيح مفهوم مصطلح البلاغة ،حيث عرفها على أنها : " علم الخطاب الإجتماعي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا إيهاما و تصديقا "[1].

و هذا نتيجة لدمجها بالتخييل و التداول الذي انتهجه كل من عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي ثم يليه السكاكس و القرطاجني .

و في الثقافة الغربية يحيلنا مصطلح Rhétorique إلى ثلاثة مفاهيم و هي :

1. **المفهوم الأدبي :**

و ذلك عن طريق رولان بارت الذي رسم خطوطه العامة من خلال تاريخ البلاغة القديمة ،و الذي أعاد صياغته تحت اسم البلاغة العامة

2. **المفهوم الأرسطي :**

الذي يخصصها لمجال الإقناع و أليات ه ،حيث يرتبط النص بالمقامات الثلاثة المعروفة : المشاورة ،المشاجرة ،المفاضلة ،إلى جانب إعادة كل من برلمان و أخرون صياغة الخطاب المحاكي ضمن نموذج منطقي للإقناع .

3. **المفهوم النسقي:**

الذي جعل البلاغة علما يشمل التخييل و الحجاج ،إذ كان الحديث منصبا على استرجاع البعد المفقود في التجاذب بين المجال الأدبي الفلسفي المنطقي هذا من جهة ،و من جهة أخرى نجد الجانب اللساني التداولي .

[1] نفس المرجع ،ص 100

و بعد هذا ينتقل الباحث إلى الحديث عن الأساس الذي يقوم عليه النسق البلاغي ،و ذلك عن طريق تسجيل الإختلاف الكامل بينه و بين المرتابين إلى جانب قيامه بالفصل بين الشعرية و الخطابية ،من خلال مناقشة مقال لبول ريكو المعنون بالخطابية الشعرية التّأويلية مركزا على نقاط الإلتقاء و الإختلاف بين الشعرية و الخطابية بحيث يلتقيان في معالجة النصوص التي يكون الإحتمال مركزها ،فالشعرية عند أرسطو هي نتاج الخطاب ،أما الخطابية فهي تركيب الخطاب و يتقاطعان في كونهما مختلفي الوظيفة و الأهداف ،فالشعري هدفه خلق الحكايات أي الإمتاع ،أما الخطابي فهدفه يكمن في تقديمه الحجج و البراهين أي الإقناع .

في حين ذهب الإتجاه الثاني إلى الإقرار بإمكانية التداخل بين التخييل و التداول في إيطار ما يسمى بلاغة عامة تجمع بين الإقناع و الإمتاع هذا الإتجاه مثله بلاغيون كثر أمثال أوليفي و ريبول الذي طرح في كتابه البلاغة حلا ثالثا هو جوهر البلاغة الذي يتحدد في تقاطع الأسلوب و الحجاج .

أما في المبحث الثاني فقد تتبع الباحث جذور كل من البلاغة العربية و الغربية في اطار الحوار بين التخييل و التداول و ما أقره من توجهات نحو التعميم و التخصيص .

عمد محمد العمري في الفصل الثاني إلى التداخل بين التخييل و التداول عن طريق دراسة تطبيقية بالاعتماد على بلاغات خاصة تجسد فيه السخرية الأدبية و كذا السيرة الذاتية ، و لعل السبب وراء اختياره لهذين النوعين إنسجامهما في تحديد موضوع البلاغة ،فتناول السخرية الأدبية على أنها جزئية تقع بين التخييل و التداول ،ويشمل الخطاب الساخر، الضحك و الاستهجان ...[1]

و يمكن للباحث أن يستفيد من النزاع القائم بين اللساني التداولي و الفيلسوف حول موضوع السخرية في تحديد مفهومه عن طريق دراسة كتاب البخلاء للجاحظ .

و نجد أن السخرية عنده تقوم على ثلاث أليات و هي الإلتباس ، التوريط ، و الذهول ، هذا فيما يخص الشعرية .

أما بلاغة السيرة الذاتية (تقاطع الواقع و الخيال) لا تتحقق إلا إذا زاوج الباحث بين الصياغة الشعرية و التوظيف الفكري الذي أثار الإنتباه و سمح بإلحاقهما بهذا الكاتب و تاريخها الذي يعتبر التخييل الروائي و التصديق التاريخي .

أما الفصل الثالث بصفة عامة فقد تناول فيه تقاطع التخييل و التداول في مكون بلاغي و الذي طرح في البلاغة العربية في المجاز ،و هو المفهوم الذي نما عند الجرجاني من خلال التداخل بين التخييل و الإقناع عن طريق حكايتين ،حكاية ظهور الخمر و حكاية الشاعر الذي مد جائزة

[1] محمد العمري ،البلاغة بين التخييل و التداول ،دار افريقيا للشرق ،ط 01 ،1992، ص 89

لمنشد الشعر ،و نجد أنه انتقل من هاتين الحكايتين من مستوى الجملة إلى مستوى النص ، و كذا التداخل بين الواقع و التاريخ و الخيال و العجائب.

نلاحظ من خلال تحليلنا للكتاب البلاغة الجديدة بين الخييل و التداول لمحمد العمري أنه قام بجهد تنظيري و تطبيقي ، من خلال تتبعه الدقيق للتاريخ و الحوار بين التخييل و التداول و البلاغتين العربية و الغربية [1].

تقييم أعمال محمد العمري :

من خلال هذا العنصر الأخير حاولت تقييم أعمال و جهود العمري في مجال البلاغة التي احتلت مكانة رفيعة في إحياء و تطوير الدرس البلاغي العربي و الغربي و قد توصلت إلى :

1. توسيع الخطاب الحجاجي الإقناعي و المعرفي العام للبلاغة العربية
2. استرجاع المفهوم البلاغي الجديد لبعده التداولي الحواري
3. إعادة الإعتبار للبنية الصوتية في الشعر ، و هذا ما نجده في كتابيه : تحليل الخطاب الشعري و الموازنات الصوتية.
4. استرجاع البعد المفقود في تجاذب المجال الأدبي و الفلسفي و المنطقي .
5. رد الإعتبار للبلاغة العربية من خلال كتابه البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها و جعلها تدرس في جميع المستويات .
6. ساهم مشروعه العلمي في فتح أفق جديدة للدراسات البلاغية و النقدية
7. توزعت أعماله العلمية لتحقق ترجمة و تأليف بين تحليل الخطاب الشعري تارة و بين تحليل الخطاب الحجاجي التداولي تارة أخرى

يتبين لنا أن أعمال الأستاذ محمد العمري قد أسهمت في تطوير أليات النظر البلاغي و المقاربة المنهجية للموروث البلاغي العربي القديم ،إلى جانب إغناء المكتبة العربية في المجالين اللساني الفلسفي و المنطقي و غيرهما من علوم اللسان .

كما جعل العمري من البلاغة علما كليا للخطابات التحليلية التداولية الهادفة إلى التأثير و الإقناع ،وقد قام بنفض الغبار على البلاغة العربية التي ظلت مهملة لسنوات طويلة [2].

[1] المرجع السابق ، ص90

[2] القاضي محمد ،الحجاج أطره و منطلقاته ،كلية الاداب ،تونس ،دار العلوم ،ط 01 ،2000، ص 153

خاتمة :

من خلال تتبعنا لمسارات البلاغة العربية عامة و البلاغة الغربية خاصة ،نخلص الى مجموعة من النتائج مفادها أن :

- ✓ البلاغة قد شغلت حيزا عظيما في حقول المعرفة ،خاصة مع ظهور البلاغة الجديدة التي حظيت بإهتمام اللسانيين و النقاد في كل من الدرسين اللغويين العربي و الغربي.
- ✓ صدور الكتاب الأساسي الذي يعتبر انجيل البلاغة الجديدة المعنون بالرسالة في الحجاج : البلاغة الجديدة لبيرلمان و صاحبه وتيتيكا هذان الأخيرين اعتبرا أن الحجاج هو البلاغة الجديدة .
- ✓ تحول البلاغة من كونها علما للخطاب إلى كونها علما واسعا للمجتع و خطاباته الواسعة
- ✓ استيعاب البلاغة لفضاء يوظف نتائج كل الدوحة اللغوية و ما يحف بها من علوم و مناهج انسانية
- ✓ استيعاب البلاغة المعاصرة لمناهج مختلفة بدءا من الدراسات الأرسطية وصولا إلى الجهود التداولية
- ✓ يعتبر كتاب بلاغة الخطاب و علم النص أول مرجع يبحث في البلاغة المعاصرة و ينير مفاهيمها و روادها وأليات تطبيقها.
- ✓ تعتبر المدرسة المغربية من خلال مشروعها البلاغي أهم مسار لتطور المشروع البلاغي الحديث إلى مشروع نقدي معرفي هدفه تحديد شروط الحوار و المثاقفة مع الأخر .
- ✓ يعتبر محمد العمري من أبرز البلاغيين الذين اهتوا بمقولات البلاغة المعاصرة عامة و الحجاج خاصة
- ✓ ارتكز محمد العمري في قراءته للتراث المغربي والعالم العربي على مسارين هما المسار التراثي وباب الترجمة، فقد فتحت أعماله أفقا جديدة للدراسات البلاغية والنقدية، وأخرجتها من المقاربات الشكلية.
- ✓ جاءت قراءة محمد العمري قراءة تركيبية، تعتمد على النظرة الشمولية والمعالجة البنيوية.
- ✓ وجود مشكلة الترجمة التي تحدث خلط في المفاهيم خاصة بين البلاغة الجديدة والبلاغة المعاصرة.
- ✓ حمل أغلبية المصطلحات البلاغية الحديثة مضامين وروافد التراث، فهي جديدة التسمية قديمة المنشأ
- ✓ قراءة التراث هي بداية أي نظرية أو تراكم معرفي، فلا وجود لشيء من العدم، وهذا ماتوصلنا إليه من خلال البلاغة الجديدة التي كانت امتدادا للبلاغة القديمة، والبلاغة المعاصرة التي كانت هي الأخرى بدورها امتداد للبلاغة الجديدة.

قائمة المصادر و المراجع

ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1، 2012
ابن رشد ،الخطابة و الحجاج ،بيروت ،دار القلم ،دط،1999
ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998
ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 1، مادة بلغ ، ج1،1998
أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار العلم للكتب، القاهرة، ط2، 2000
بارت رولان ،قراءة جديدة للبلاغة القديمة ،المغرب ،دار إفريقيا للشرق ،01ط،1994
حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،دار المعرفة،بيروت،ط2 ،1996
سعد سليمان حمودة ،البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،ط 01، 2002
سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، الدار البيضاء، المركز الثقافي، العرب، ط1، 2005
صلاح فضل ،علم الأسلوب ،سلسلة المعارف ،الكويت ،ط1985،1
صمود حمادي ، من تجليات الخطاب البلاغي ،تونس ، دار قرطاجة للنشر ،ط 01 ، 1999
عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2001
عبد الله صولة ،نظرية الحجاج في التقاليد الغربية ،كلية الادب ، المغرب ،جامعة محمد الخامس ، ط01 ،1997
القاضي محمد ،الحجاج أطره و منطلقاته ،كلية الاداب ،تونس ،دار العلوم ،ط 01 ،2000
محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها ، المغرب ، دار إفريقيا ، الشرق ، ط01 ،1999
محمد العمري ،البلاغة بين التخييل و التداول ،دار افريقيا للشرق ،ط 01 ،1992
محمد أمين، البلاغة العامة، دار الأمان، الرباط، ط2، 2014
محمد سالم محمد أمين ،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب للنشر و التوزيع ، بيروت ،ط1، 1985
محمد سالم، مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ط1، 2004
مفتاح محمد ، النقد المعرفي و المثاقفة ،المغرب المركز الثقافي العربي ، ط01 ، 2000

فهرس الموضوعات

الشكر

الإهداء

مقدمة

الفصل الأول : بين بلاغة التراث العربي و تجديد البلاغة.....ص07

مصطلح البلاغة ص08

بلاغة التراث العربي ص09

مدارس البلاغة العربية القديمة ص11

البلاغة الجديدة .....ص 13

الفصل الثاني : البلاغة المعاصرة ص20

المدرسة المصرية: صلاح فضل ..... ص 20

المدرسة المغاربية : محمد مفتاح .....ص 23

المدرسة التونسية : حمادي صمود .....ص 24

الفصل الثالث : دراسة لإسهامات محمد العمري في البلاغة الجديدة و المعاصرة.. ص 31

السيرة الذاتية ص31

تقديم كتاب البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها.....ص 32

تقديم كتاب البلاغة بين التخييل و التداول..... ص35

تقييم أعمال محمد العمري .....ص 37

الخاتمة ص39

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس